إرشاد العباد
للاستعداد ليوم المعاد

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز بن محمد السلمان

رحمه الله

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الطبعة الثالثة عشرة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير
الموكل عنهم إبراهيم بن علي العودة
جزاهم الله كلهم خيراً
جوال ٠٥٠٥٢٦٥٥٠١

مَن أراد طباعته لوجه الله تعالى لا يريد به عرضاً من الدنيا فقد أذن له وجزاه الله عني وعن المسلمين خيرًا. أسأل الله الكريم العلي العظيم الرؤف الرحيم أن ينفع به مَن قرأه ومَن سمعه وأن يأجر مَن دل عليه أو سعى به إلى مَن ينتفع به. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد القهار العزيز الغفار مُقَدِّرَ الأقْدار ومُصَرِّف الأمور على ما يَشاءُ ويختار ومُكَوِّر الليل على النهار .

الواحد الأحد الفرد الصمد العليم الحكيم الذي أيقَظَ مِنْ خَلْقِهِ مَن اصْطفاهُ فأدخلَه في جُمُلة الأخيار وَوَفّقَ مَن اختار مِن عَبيده فجَعَلَه من الأبرار .

وبصَّر مَن أحَبَّهُ مِن خلقه لِلْحَقائِق فزهِدوا في هذهِ الدار فاجْتهدوا في مرضاتِه والتأهُّبِ لِدارِ القَرار .

وبعد فإني لما نظرت في غفلتي عن اكتساب الزاد المُبَلِّغ لِيَوم المعاد ورأيتُ أوقاتي قَدْ ضَاعَت فيما لا يَنْفعُني في مَعَادي ورأيتُ اسْتِعْصَاءَ نَفْسِي عما يؤْنِسُني في رَمْسِي لا سيَّما والشيطانُ والدنيا والهوى مَعَها ظهير .

فَعَزَمْتُ على جمع ما تَيَسَّرَ مِن الكتاب والسنة وكلام العلماء والحكماء والزهاد والعباد مِمَّا لَعَلَّهُ أن يكونَ سبباً نافعاً حاثاً لي وإخواني مِن المسلمين الذين أصِيبُوا مِثْلِي بِضَياعِ أوقاتِهم فيما لا يَنْفَعُ ولا يُجْدِي على الاستِعدادِ والتأهُب لِيَومِ المعاد .

أسألُ الله العظيمَ الحيَّ القيومَ الواحدَ الأحدَ الفردَ الصمدَ ذَا الجلال والإكرام الرؤوفَ الرحيم رَبَّ العرشِ العظيم أَنْ يَجْعَلَه خالِصاً لِوَجْهِهِ الكريم .

وأَنْ يَنْفَعَ به مَن قرأه ومَن سَمِعَه وجميعَ المسلمين وأن يفْتَحَ لنا ولهم أبوابَ القَبُولِ والإجابة . وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

ومَن أراد طباعته لِوَجْهِ اللَّهِ تَعالى لا يُريدُ به عَرَضاً مِن الدنُيا فقد أذِنَ لَهُ وجَزَاه الله عَني وعن المسلمين خيراً إنه واسِعٌ كريم على كل شيء قدير .

اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد العزيز بن محمد بن سلمان

فصـــل

إعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وإياكَ وجميعَ المسلمين أنه يَنْبَغي لِمَنْ أَرَادَ شيئاً مِن الطاعات وإن قَلّ أن يُحْضر النِّيةَ وهِيَ أن يَقْصُدَ بعَمَلِهِ رِضا الله عزَّ وجل وتَكون نِيَّتُهُ حاضَرةً حَالَ العمل .

ويدْخُلُ في هذا العِبَاداتُ كُلُّها مِن صَلاةٍ وزَكاةٍ وصِيامٍ وحَج والوُضُوء والتيمم والاعتكاف والصّدقة وقضاء الحوائج وعيادة المريض واتباع الجنائز وابتداء السلام وَرَدّه وتَشْميت العاطس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإجابة الدعوة وحُضُور مجالس العلم والأذكار وزيارة العلماء والأخيار لا لِقَصْدٍ دُنْيَوِي .

والنفقة على الأهل والضيف وإكرام الأقارب وبر الوالدين وإكرام أهل الود والأصدقاء وذوي الأرحام ومُذاكرة العلم والمناظرة فيه وتكراره وتدريسه وتعلمه وتعليمه ومطالعته وكتابته وتصنيفه والفتاوى .

وَبذل الجاهِ لإخوانِهِ المسلمين وخُصوصاً طلبة العلم ومساعدتهم فيه وفي شؤنهم الخاصة وتشجيعهم وحثهم على العلوم النافعة وتحذيرهم مِن البدع وأهلها وتحذيرهم مِن العلوم الضارة والعلوم التي ضررها أكثر مِن نفعها .

وما أشبه هذه الأعمال حتى إنه يَنْبَغي له إذا أَكلَ أو شَرِبَ أو نَامَ يَقصد بِذلك التَّقَوِي على طاعة الله أَوْ رَاحَةَ البَدَنِ لِلتنشِيْط لِلطاعة وكذلك إذا أرادَ جِماعَ زَوجتِهِ يقصد إيصالَها حقَها وتحصيلَ ولد صالح يعبد الله تعالى وإعفافَ نفسِه وصيانتَها عن التطلع إلى الحرام والفكر فيه .

ومَن حُرِمَ النيةَ في هذه الأعمال فقد حُرِمَ خَيراً كَثِيرا ومَن وفق فقد أوتى فَضْلاً عظيماً . فنسأل الله الحي القيوم العلي العظيم ذا الجلال والإكرام الواحد

الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد التوفيق لذلك وسائر وجوه الخير .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول « إنَّما الأعمالُ بالنياتِ وإنَّما لكل امرئٍ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» متفق عليه .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فقال « إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض وفي رواية شركوكم في الأجر » رواه مسلم .

وروى البخاري عن أنس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال «إنّ أقواماً خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا وادياً إلا وهم معنا حبسهم العذر» وهذا دليل على فضل النية لأنهم كتب لهم أجر الغزو بالنية .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال « إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك .

فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة . وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله تعالى عنده سيئة واحدة » متفق عليه .

ذِكْرُ بعض الفوائد والمواعظ الميقظة للقلوب الغافلة

(١) إعلم أيها الانسان أن النفسَ الأمارة بالسوء عدوة لَكَ مع إبليس لَعَنَه الله ، وإنما يتقوى عليك الشيطان بهوى النفس وشهواتها ، فهي سلاحُه الذي يَصِيْدُ به وهَل أوقَع إبليسَ في كبره ومعْصيته إلا نَفْسُهُ ، قال الله جل وعلا وتقدس ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ .

فلا تَغُرَّنَّكَ نفسُكَ بالأماني والغُرور، لأن مِن طبع النفسِ الأمْن والغَفْلَة والراحَة والفَتْرة والكَسَل والعَجْز فَدَعْواهَا باطلٌ وكل شيء منها غُرُوْرٌ وإن رضِيْتَ عنها واتبعتَ أمرَهَا هَلَكْتَ ، وإن غَفَلْتَ عن مُحَاسَبَتِها غرَقْتَ ، وإن عَجَزْتَ عن مُخَالفَتِهَا واتَّبعْتَ هَواهَا قادَتْكَ إلى النار .

وهي رأسُ البلايا ، ومَعْدِنُ الفَضِيْحَةِ ، وهي خِزَانَةُ إبليسَ ، ومَأوَى كلِ شَر لا يَعْرِفُهَا إلا خَالِقُها نعوذ بالله مِن شرها .

(٢) يَنْبَغِي للانسان العاقِل أن يُبَادِرَ بالتوبة مِن الذنوب الماضيةِ والحاضرة مِن رِيَاءٍ أو كِبرٍ أو عُقوقٍ أو قَطِيعَةِ رحم أو كَذِبٍ أو غِيْبةٍ أو نَمِيْمَةٍ أو نحو ذلك مِن الذنوب .

فَبَادِرْ مَتَابـــاً قَبْلَ يُغْلَقُ بَابُـــــهُ وتُطْوَى على الأعمالِ صُحْفُ التَّزَوُّدِ
ومِثْلُ وُرُوْدِ القَبْرِ مَهْمَا رأيْتَـــهُ لِنَفْسِكَ نَفْاعاً فَقَدِّمْـــهُ تَسْعَـــدِ

ويتفكر فيما يُقَرِّبُهُ إلى الله ويَنجُو به في الدار الآخرة ويُقَصِر الأملَ ويُكْثِرُ مِن ذِكرِ الله تعالى ، ويَجْتَنِبُ المناهِي كُلَّها ويُصَبِّرُ نَفْسَه ويَسأَلُ الله الثباتَ بالقولِ الثابتِ حتى الممات .

(٣) قيل إن يَعقوبَ عليه السلام قال لِملكِ الموت إني أسألُك حاجَةً قال وما هي قال أن تُعَلِمني إذا دَنَى أجَلي وَأَرَدْتَ أَنْ تَقبضَ رُوْحِي ، فقال نَعَمْ أُرْسِلْ إليكَ رَسُولَيْنِ أَوْ ثلاثةً .

فلما إنقضَى أجلُه أتى إليه مَلَكُ الموت فقال أزَائِرٌ جِئْتَ أمْ لِقبضِ رُوْحِي ، فقال لِقَبضِ رُوحِكَ فقال أوَلسْتَ كُنْتَ أخْبَرْتَنِي أنكَ تُرسل إلي رَسُولين أو ثلاثةً قال قد فَعَلْتُ .

١ - بَيَاضُ شَعرِكَ بعد سَوادِهِ .
٢ - ضُعْفُ بَدَنِك بَعدَ قُوَّتِهِ .
٣ - وإنْحِناءُ جسْمِكَ بعدَ اسْتِقَامَتِه .

هذه رُسُلِي يا يَعْقُوب إلى بَني آدَمَ قبلَ الموت

شعـــــراً :

مَضَى الدهرُ والأيامُ والذّنْبُ حَاصِلُ ... وجَاء رسولُ الموتِ والقلبُ غَافِلُ
نَعِيْمُكَ في الدُنْيَا غُرُوْرٌ وحَسْـــرةٌ ... وعَيْشُكَ في الدنيـــا مُحَالٌ وبَاطِلُ

آخـــــر :

تَفكَّرْتُ في حَشْري ويَوْم قِيَامَتِـــي ... وإصْبَاح خَدّيْ في المَقَابِـــرِ ثاوِيَـــا
فَرِيْـــداً وَحِيْـــداً بَعـــدَ عِزّ ومِنْعَـــةٍ ... رَهِيْناً بِجُرْمِي والتُـــرابُ وَسادِيَـــا
تَفكَّرْتُ في طُوْلِ الحِسَابِ وعَرْضِهِ ... وذُلّ مَقَامِي حِيْنَ أُعْطَى حِسَابِيَـــا
ولَكِـنْ رَجَائِي فِيْكَ رَبِي وخَالِقِي ... بأنكَ تَعْفُـــوا يا إلهِـــي خَطَائِيَـــا

أشرف الأوقات التي يعمرها الإنسان ما تقضي بطاعة الله ، ومَن أرادَ حِفظَ أوقاتِهِ فليجعلْ كلامَهُ ذِكْرا وصَمْتَهُ تَفكُرَا ونَظَرَهُ عِبْرَةً وعَمَلَهُ بِرا .

شعـــــراً :

لا يَحْقِرِ الرجلُ الرفِيعُ دَقِيْقَـــةً ... في السَّهْوِ فيها لِلْوَضِيْعِ مَعَـــاذِرُ
فكَبَائِرُ الرَّجلِ الصغيرِ صَغِيـــرةٌ ... وصَغَائِرُ الرَجُلِ الكَبيرِ كَبَائِـــرُ

وقال آخـــــر : إذا رأيتَ مِن قلبك قسوة فأكثر مِن تلاوة كتاب الله بتدبر وتفكر وجالس الذاكر لله واصحب الزاهدين وعليك بالسنة وسيرة النبي

ﷺ وسيرة أصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

(٤) ذُكِرَ عن شقيق البَلْخِي أنه قال : الناس يقولون ثلاثةَ أقوال ، وقد خالفوها في أعمالهم ، يقولون نحن عبيد الله ، وهم يعملون عملَ الأحرار ، وهذا خِلافُ قولهم ، ويقولون إن الله كفيلٌ بأرزاقنا ، ولا تطمئنُ قلوبُهم إلا بالدنيا وجَمْعِ حُطَامِها ، وهذا خِلافُ قولهم ، ويقولون لابُدَّ لنا مِن الموت ، وهم يعملون أعمال مَن لا يَمُوت وهذا خِلاف قولهم .

(٥) وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين إرْضَوا بدَنِيء الدنيا مَعَ سَلامَةِ الدِين كما رَضي أهلُ الدنُيا بِدَنِيء الدِين مع سلامة الدنيا : وفي مَعْنَى ذلك قيل :

أرَى رِجالاً بأدْنَى الدِينِ قَدْ قِنَعُوا ... وما أرَاهُم رَضُوا في العيشِ بالدُوْنِ
واسْتَغْنِ بالدِين عن دُنيَا الملوك كما ... تَغْنَى الملوكُ بدُنْياهُم عن الدِينِ

وقال عَلِيٌّ رضى الله عنه مَن جَمع سِتَّ خِصَالٍ لم يَدَعْ لِلْجَنّةِ مَطْلَبًا ولا عن النار مَهْرَبًا أولهما مَنْ عَرَفَ الله فأطَاعَهُ .

وعَرَفَ الشيطانَ فَعَصَاه .

وعَرَفَ الحقَّ فاتّبَعَهُ .

وعَرَفَ الباطلَ فاتقاه .

وعَرَفَ الدُنيا فرفَضَها .

وعَرَفَ الآخرة فطَلَبَها .

شعراً :

إن امْرَأً باعَ أخْرَاهُ بفَاحِشَةٍ ... مِن الفَواحِشِ يأتيهَا لَمَغْبُونُ
ومَن تَشَاغَلَ بالدنيا وزُخْرُفِهَا ... عَن جَنَّةٍ ما لَهَا مِثْلٌ لمَفْتُونُ
وكُلُ مَن يَدَّعي عَقْلاً وهِمَّتُهُ ... فيما يُبَعِّدُ عن مَوْلاهُ مَجْنُونُ

(٧) وقال ابن مسعود ما أصبح أحد إلاَّ وهو ضيفٌ ومالُه عاريةٌ فالضَّيفُ مُرْتَحِلٌ والعارية مَرْدُوة وفي ذلك قيل :

وما المالُ والأهلونَ إلاَّ وَدِيْعَـــةٌ ولابُدَّ يَوْماً أنْ تُرَدَّ الوَدائـــــعُ

(٨) وقال بعضُهم الدُنيا جِيْفَة فَمَنْ أرادَ منها شيئا فليصبِر على مُعَاشَرةِ الكِلابِ ، وفي ذلك يقول الشافعي :

ومـا هِـيَ إلاَّ جِيْفَـةٌ مُسْـتَحِيلـةٌ عليها كِـلابٌ هَيُّمُـــنَّ اجْتِذَابُهَـــا

(٩) وقال أبو أمامة رضي الله عنه : لما بَعَثَ الله محمداً ﷺ أتَتْ إبليسَ جنودُه فقالوا قد بُعِثَ نبي وأخرجَتْ أُمَّةٌ ، قال يُحِبُونَ الدنُيا ، قالوا نعم قال لَئِن كانوا يُحِبُون الدنُيا مَا أبالِي أن لا يَعْبُدوا الأوثانَ وإنما أغْدُوا عليهم وأرُوْحُ بثلاث ، أخْذُ المالِ مِن غَيرِ حَقِهِ ، وإنفاقُهُ في غيرِ حَقِهِ ، وامْسَاكُه عن حَقِهِ والشَّرُّ كُلُه مِن هذَا نَبَعْ .

(١٠) وقال لقمان لابنه : يا بُنيَّ إنَّك اسْتَدْبَرتَ الدنيا مِن يوم نَزَلتَها واستَقْبَلْتَ الآخرةَ فأنتَ إل دارٍ تَقْربُ منها أقربُ مِن دارٍ تَبَاعَدْت عنها .

شعـــــرا :

وما هَذِهِ الأيـــام إلاَّ مَرَاحِـــلٌ تُقَـرِّب مِـن دَارِ اللِّقَـا كُلَّ مُبْعَـدِ
ومَنْ سَارَ نَحْوَ الدارِ خَمْسِيْنَ حَجَةً فَقَدْ حَانَ منه المُلْتَقَى وكَأنْ قَـــدِ

آخر : نَسِيْرُ إلى الآجـال في كُلِّ لَحْظَةٍ وأيَّـامُنَـا تُطْـوَى وهُـنَّ مَرَاحِـــلُ

(فصـــــــل)

(١١) وقال الفضيلُ بن عُياض : الدخولُ في الدنيا هَيِّنٌ ولكن الخروجُ منها هو الشديد .

(١٢) وقال آخر : عَجباً لِمَنْ عَرَفَ أن الموتَ حَق كيف يَفْرح ،

وعجباً لمن عَرَفَ النارَ وأنها حق كيف يضحك ، وعجباً لِمن رأى تَقَلُّبَ الدنيا بأهْلِها كيفَ يَطمَئِن إليها ، وعجباً لِمن يعلم أنَّ القدرَ حَق كيفَ يَنْصَب .

قال مالك بن دينار : إصْطَلَحْنَا على حُبّ الدنيا ، فلا يأمر بعضُنا بَعْضـــاً ، ولا يَنْهَى بَعْضُنا بعضاً ، ولا يدعنا الله على هذا فليت شِعْري أي عذاب الله يَنْزِلُ عَلينا .

وقِيلَ لِبِشْرٍ ماتَ فلانٌ فقال ، جَمَعَ الدنيا وذَهبَ إلى الآخرة وضيَّعَ نَفْسَه .

وقال آخر : الدنيا تَبَغَّضُ إلينا ونحن نحبها فكيف لو تَحَبَّبَتْ إلينا .

وقال آخر : لا يَصبرُ عن شَهوات الدنيا إلا مَن كان في قَلْبِهِ ما يَشْغَلُه بالآخـــــرة .

وقال آخر : يَعِظُ أخاً له في الله ويُخَوِفُهُ بالله ، فقال يا أخي إن الدنيا دَحَضٌ مَزَلَّةٌ ، ودَارٌ مَذَلَّةٌ ، عُمْرانُها إلى الخراب صَائِر ، وعامرها إلى القبور زائر، شَمْلُهَا على الفرقة موقوف ، وغناها إلى الفقر مصروف ، الإكثار فيها إعسار والإعسار فيها يسار .

فافزعْ إلى الله وارضَى برزق الله ، لا تَتَسَلَّفْ مِن دار فَنَائِكَ إلى دَارِ بقائك فإن عَيْشكَ في الدنْيا فَيءٌ زائل وجِدارٌ مَائِل أكثرِ مِن عَمَلِكْ وأقِلِلْ مِن أمَلِكْ .

وقال يَحْيَا بنُ مُعَاذ العقلاء ثلاثةٌ مِنَ تَركَ الدنيا قَبْلَ أن تَتْركَهُ ، وبَنَى قَبْرَهُ قبلَ أن يَدْخُلَه وأرْضَى خَالِقَه قبلَ أن يلقاه .

وقال بُنْدار إذَا رَأيتَ أبناءَ الدنيا يَتكلمونَ بالرُهْدِ فاعلم أنهم في سُخرِيَّةِ إبليس .

وذَكَر أُناسٌ الدنيا وأقبلوا على ذمها عند رابعة العَدَوية ، فقالَتْ اسْكتُوا عن ذِكرها فلولا موقعها مِن قلوبكم ما أكثرتم مِن ذِكرها ، إن مَن أحب شيئا

أكثرَ مِن ذِكره .

شعـــــراً :

ألا إنما الدنيا كجيْفَة مَيْتَـــــةٍ وطُلّابُها مِثْلُ الكِلاب الهَـــوامِسِ
وأعظمُهمْ ذَمّاً لَهَا وأشـــدُهُمْ بهَا شَغَفاً قومٌ طِوالُ القـــلائِسِ

وقال آخر : الدنيا مَزْبَلَةٌ ومَجْمَعُ كِلاب وأقل مِن الكلاب مَن عكف عليها ، فإن الكلب يأخذ مِن الجيفة حاجته وينصرف والمحب للدنيا لا يفارقها بحال .

وقيل لأبراهيم بن أدهم كيفَ أنْتَ فقال :

نُرقِعُ دُنْيَانَا بتَمْزِيْق دِيْنِنَـــا فلا دِيْنُنَـــا يَبْقَى ولا مـــا نُرَقّـــعُ
فَطُوبَى لِعَبْدٍ آثَرَ الله وحْـــدَهُ وجَادَ بِدُنْيَاه لِمَا يُتَوَقّـــــعُ

وقال آخـــــر :

أرَى طالبَ الدنيا وإن طَالَ عمْرُهُ ونالَ مِن الدُنيا سُـــروراً وأنْعُمَا
كَبَانٍ بَنَى بُنْيَانَهُ فأقـــامَهُ فلَمَّا استَوى ما قَدْ بَنـــاه تَهَدَّمَا

وقال لقمان لابنه : يا بُنَيَّ بِعْ دُنْياكَ بآخرتِكَ تَرْبَحْهُمَـــا جَمِيْعَـــا ولا تَبِعْ آخرتَكَ بدُنْياك تَخْسَرهُما جَمِيعا .

وقال محمد بن الحسين لَمَّا عَلِمَ أهلُ الفضلِ والعِلمِ والمعرفةِ والأدَبِ أنَّ الله عَزَّ وَجَل قد أهانَ الدنياوأنه لم يَرضَها لأوليائِه وأنها عنده حَقيرة ذليلةٌ .

وأن رسول الله ﷺ زَهِدَ فِيها ، وحَذر أصحابه مِن فِتنتها أكلُوا منها قَصْدَا وقدَّمُوا فَضْلا وأخذوا منها ما يَكْفِي ، وتَركُوا ما يُلْهِي ، لَبِسُوا مِن الثياب ما سَتَر العَوْرَةَ ، وأكلُوا مِن الطعامِ أدْناه مِمَّا سَدَّ الجَوْعَةَ .

ونَظَرُوا إلى الدنيا بعَينِ أنها فانِية وإلى الآخرة أنها باقية ، فَتَزَوَّدُوا مِن الدنيا كَزادِ الراكب ، فَخَرَّبُوا الدنيا وعَمَّرُوا بها الآخرة .

ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعَلموا أنهم سَيَنْظُرونَ إليها بقُلُوبهم وأعْيُنِهم، ولمَّا عَلِمُوا أنهم سَيَرْتَحِلونَ إليها بأبدانهم تَعِبُو قليلا وتنعَّمُوا طَويلا كل ذلِكَ بتوفيقِ مَوْلاهم الكريم أحَبُوا ما أحَبَّ لَهُمْ وكَرِهُوا مَا كَرِهِ لهم .

قال عبدالله بن مسعود نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثَّرَ في جنبه فَقُلْنَا يَا رسُولَ الله لو اتَّخَذْنَا لكَ وِطَاءً فقال مَالي ولِلدُّنْيَا ما أنا في الدنيا إلا كَراكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شجرة ثم راح وتركها .

إعلم بأن طَرِيقَ الحـــق مُنْفَرِدٌ والسَّالِكُونَ طَرِيْقَ الحـــقِ أفْرَادُ
لا يَطْلُبُـــونَ ولا تُطْلَبْ مَسَاعِيهُمْ فهُمْ على مَهَلٍ يمشُـــون قُصَّـــادُ
والناسُ في غَفْلةٍ عَمَّالهُ قَصَـــلُوْا فَجُلُّهُمْ عن طَرِيقِ الحَـــقِ رُقَّادُ

وخَطَبَ عُمر بنُ عبدالعزيز رحمه الله فقال : يا أيُها الناس إنكم خُلِقْتُم لأمر إن كُنتُم تُصَدِقون به وهَذَا عَمَلُكُم فإنكُم حَمْقَى ، وإن كنتُم تكذبون به فَإنكُم هَلْكَى فما خُلِقْتُم لِلأبَدِ ولكنكم مِن دار إلى دار تُنْقَلُون

عبادَ الله إنكم في دار لكم فيها مِن طعامكم غُصَصٌ ومِن شرابكم شَرَق لا تصفُوا لكم نعمةٌ تسرون بها إلا بِفِراقِ أخْرى تكرهُون فِراقها ، فاعْمَلُوا لِمَا أنتُم صَائِرونَ إليه وخَالِدونَ فيه ثم غَلبُه البُكاءُ ونَزَلَ .

وقال بعضهم في وصف مراحل السلوك : إن المؤمن إذا آمَنَ بالله واستحكم إيمانه خافَ الله تعالى فإذا خَافَ الله تعالى تولّدَ مِن الخوف الهيبةُ .

فإذا سكَنَتْ غلبةُ الهيبةِ دَامَتْ طاعتُه لِربه ، فإذا أطاع رَبَّهُ تولّدَ مِن الطاعة الرجَاء .

فإذا سكَنَتْ دَرَجَةُ الرجاء في القلب تولد مِن الرجاء المحبة .

فإذا اسْتَحْكَمَتِ المحبةُ في قلبِ العبدِ سَكَنَ بَعْدَهَا مَقَام الشوق ، فإذا اشتاق أدَّاهُ الشَّوْقُ إلى الأُنسِ بالله ، فإذا أنِسَ بالله اطْمَأنَّ إلى اللَّهِ ، فإذا اطمأن

إلى الله كان لَيْلُه في نَعِيْم ونهارُهُ في نَعِيْم وسِرُّهُ في نَعِيْم وعَلَانَيَتُهُ في نَعِيْم .

وقال بعضهم يَا ابن آدم ما أنصفتَ إذْ يَدْعُوكَ دَاعِي الدنيا بكلمة واحِدة لِشيء ذاهَبٍ فتجيبُه مُسْرِعَا ، ويَدعوكَ داعِي الآخرةِ لِشيءٍ باقٍ صَافٍ ثابتٍ فلا تُجيْبُه مُسْرِعا ، فَلَيْتَكَ إذ لم تُقَدِّرِ الآخرةَ سَوَّيْتَ بَيْنَهُمَا .

وقال آخر : العلماءُ العامِلون أرْأف بأمة محمد مِن آبائهم وأمهاتهم واشفق عليهم ، قيلَ له كيفَ ذلك ، قال لأنَّ آباءَهم وأمهاتِهم يحفظونهم مِن نار الدنيا ، والعُلماءُ يحفظونهم مِن نار الآخرة وأهوالها .

وقال آخر : مِن أقوى القُوى أن تغلبَ نفسَكَ ، مَن عَجَزَ عن أدب نفسِهِ كان عن أدب غيره أعجز ، وقال : مِن علامات الاسْتِدراج لِلْعَبدِ عَماهُ عن عَيبه ، وتطلعُه إلى عيوبِ الناس ، وقالَ مِن النذالة أن يأكل العبدُ بِدِيْنِهِ .

وقال آخر وقد سئِلَ عن الطريق إلى الله ، فقال : تَوْبَةٌ تحلُ الإصْرَارَ ، وخوفٌ يُزِيلُ الغُرورَ ورَجَاءٌ يَنْهَضُ الخَيرات ، ثم مراقبةُ الله في خواطرِ القلوب.

(فصـــــــل)

إعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين إلى ما يحبه ويرضاه أن مِن الطُرق التي يستفيد منها الانسان معرفَة عُيوبه السنة أعدائه فإن الساخط يُنَقِبْ عن عيوب عدوه وقديماً قيل :

وعينُ الرضـــا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المســـاويا

ويقول الآخر :

عُدَاتي لهم فضلُ عَليَّ ونِعْمَـــــةٌ ... فلا أذهب الرحمنَ عني الأعـــاديا

هُمُوْا بَحَثُوا عن زَلَّتِي فاجْتَنَبْتُهَـــا ... وهم نافَسُوني فاكْتسبتُ المعـــاليا

ولعل إنتفاع الإنسان بعَدُوٍ مُشَاحِنٍ يُذَكِرُهُ عُيُوبهَ وسَقَطَاته ومَسَاوِيْه أكثر مِن إنتفاعِهِ بصَدِيق مُدَاهِنٍ يُثني عليه ويَمْدَحُه ويخفي عنه عيوبه ، فالبصير

لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه ، فإن مساويه لابد وأن تنتشر على ألسنة أعدائه .

رَآى بعضُ الزهاد رجلاً يضحكُ إلى غلام فقال له : يا خَرِبَ العقلِ والقلبِ أما تستحِي مِن ربِ العالمين والكرامِ الكاتبين والملائكةِ الحافظين يحفظون الأفعالَ ويكتبون الأعمالَ ويَنظُرون إليكَ ويَشهَدُون عليكَ .

شعراً :

تَمَتَّعتُمَا يا ناظريَّ بنظرة فأوْدَتُما قَلْبي أشرَّ الموارد
أعَيْنَايَ كُفَّا عن فُؤادِي فإنه مِن البغي سَعْيُ إثنين في قتلِ واحدِ

فالعُيُونُ مَصَائِد الشيطان ، والعَيْنُ أنفذُ الجوارح صَرْعَةً فَمَنْ أتبعَ جوارحَه نفسَه في طاعة ربه فقد وصل أمله ، ومَن أتبعَ جوارح نَفسَه في نيل لذَّاتِهِ فقط أحبط عَمَله . فليَحْذَر اللبيبُ مِن إرسالِ النظر فيما لا يَحِلُ فإنه سهمٌ صَائِب وَسُلطانٌ غَالِب قال عليه الصلاة والسلام «النظر سَهْمٌ مِن سهام إبليس فَمَنْ تَركَه مَخَافَةَ الله تعالى أعْقَبَه إيماناً يَجد طَعْمَهُ في قلبه» .

إذا ما صَفَتْ نفسُ الْمُرِيْد لِطَاعَةٍ ولَمَّا تَشُبْهَا لِلْمعَاصِي شَوَائِبُ
واتْبَعَهَا فِعْلُ الجَوارحِ كُلِّهَا فَتِلْكَ عليه أنْعُمٌ ومَوَاهِبُ
تَلَقَتْهُ في دَارِ الخُلُودِ كَرَامَةٌ إذا جُبَّ لِلْعَاصِي سَنِامٌ وغَارِبُ

كتب بعضُ الحكماء إلى رجل من إخوانه : يَا أخي احْذَرِ الموتَ في هذه الدار قبل أن تَصير إلى دَارٍ تتمنى فيها الموت فلا تجده .

وكانَ عمر بنُ عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كَأنَّ بينَ أيديهم جَنَازة .

وقال إبراهيم التيمي : شيئان قَطَعَا عَنِي لَذَّةَ الدنيا ذِكْرُ الموتِ ، والوقوف بين يدي الله عز وجل .

وقال كَعبُ مَن عَرَفَ الموتَ هَانَت عليه مَصَائبُ الدنيا وهمومُها .

وقال أشْعَثُ : كنا ندخلُ على الحسن فإنما هو ذكْرُ النار وأمر الآخرة وذكر الموت .

وقالت صفيةُ رضى الله عنها : إن إمرأة اشْتَكَتْ إلى عائشةَ قسوةَ قلبها ، فقالت لها : أكثِري ذِكْرَ الموت يَرِقُّ قلبُكِ ، ففعلت فَرَقَّ قَلْبُها فجاءتْ تشكُرُ عائشةَ رضي الله عَنها .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصـــــــل)

وقال بعضُ العلماء وَاصِفاً عُلَمَاءَ وَقْتِهِ ، قد غَلبَ على العُبَّادِ والنُسَّاكِ والقُراء في هذا الزمن التهاون بالذنوب حَتى غَرِقُوا في شهواتِ فروجهم وبطونهم ، وحجُبُوا عن شهود عيوبهم فهلكوا وهم لا يشعرون ، أقبلوا على أكل الحرام وتركوا طلب الحلال .

ورضُوا من العمل بالعلم ، ويَسْتحي أحدهم أن يقُول فيما لا يعلم لا أعلم ، هم عبيدُ الدُنيا لا علماء الشريعة ، إذا لو علموا وعملوا بها وِفْقَ الشَرِيْعَة لمَنَعَتْهُم عن القبائح ، إن سَألُوا ألحُوا وإن سُئِلُوا شحُوا لَبِسُوا الثياب على قلوب الذياب .

شـعراً :

ولـو أن أهـل العـلم صـانوه صَـانَهـم ... ولـو عَظَّمُـوه في النفـوس لَعُظِّمَـا
ولكـن أهـانُـوه فَهـانُـوا ودنَّسُـوْا ... مُحَيَّـاهُ بالأطمـاع حـتى تجَهَّمَـا
فـإنْ قُلْتُ زَنْـدَ العِـلم كَـابٍ فـإنمـا ... كَـبَى حَيْـثُ لـم تحْمَى حِمَاهُ وأظلما

وخرَجَ الحَسَنُ يوماً مِن عند ابن هبيرة فإذا هو بالقُرَّاء على الباب ، فقال مايُجْلِسُكم هَا هُنَا ، تُرِيْدُونَ الدُخول على هَؤلآء الخُبَثَاء .

أما والله ما مُجَالستُكُم إياهُم بمجَالسةِ الأبرار ، تَفرقُوا فَرَّقَ الله بينَ أرواحكم وأجسادِكم ، أما والله لو زَهِدْتم فيما عِندهم لَرَغِبُوا فيما عندكم ، لَكِنكم رَغِبْتُم فيما عِندهم فَزَهِدوا فيما عندكم .

وعن أنَس بن مالك أن معاذ بن جبل رضي الله عنه دخل على رسول الله ﷺ فقال كيفَ أصبحتَ ، يا مُعَاذ قال أصبحتُ مؤمنا بالله حَقًّا – قال « إن لكل قولٍ مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول ؟

قال : يا نَبي الله ما أصبَحْتُ صبَاحاً قَطُ إلا ظننتُ أني لا أصْبِحُ ، ولا خَطَوةُ خطْوةً إلا ظننتُ أني لا أتبعُهَا أخرى وكأني أنظر إلى كلِ أمةٍ جاثيةٍ تُدْعى إلى كتابها مَعَهَا نَبِيُهَا وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله ، وكأني أنظر إلى عُقُوبةِ أهل النار وثوابِ أهلِ الجنة ، قال عليه الصلاة والسلام عَرَفْتَ فالْزَمْ.

وبَلغ زَيْنُ العابدين مِن الدنيا أفضلَ ما تسعى إليه همةُ رجل ، فَرفَضَها ونبذَها قائلا « هذا سُرورٌ لولا أنه غُرور ، ونَعِيْمٌ لولا أنه عن قَريب عَدِيم ، ومُلْكٌ لولا أنه هُلْك ، وغِنَى لولا أنَّهُ فَنَى ، وأمر جَسِيْم لولا أنه ذمِيْم ، وارتفاعٌ لولا أنه اتِضّاع وحَسْبُ امرىء مِن الدنيا لُقِيماتٌ يُقِيم بها صُلْبَهُ ، وثوبٌ يسْتُر به عَوْرَتَه ، وصِحة يَسْتقوِي بها على طاعةِ الله .

(موعظـــــة)

إعلم يا أخي أن الأجل قَريبٌ وهو مَستُور عنكَ وهو في يد غيرك ، يَسوقهُ حَثِيْثُ الليل والنهار ، وإذا إنتهت المدةُ حِيل بينكَ وبينَ العُدة ، فاحتلْ قبل المُنْتهى وأكرِمْ أجَلَكَ بحُسْنِ صُحْبَةِ الصادِقين ، وإذا آنستَكْ السلامةُ فاسْتَوحِشْ بالعطب ، فإنه الغاية وإذا فرحتَ بالعافية فاحْسِبْ حِسَاباً لِلْبَلاء ، وإذا بَسَطكَ الأمل فاقبضْ نفسَك عنه بِذكر الأجل ، فهُو الموعدُ وإليه المَوردُ .

وقال شريح : إني أُصَابُ بالمصيبة فأحمدُ الله تعالى أربعَ مَراتٍ أحمدُه إذْ لم تكن أعْظَمَ مَنْهَا ، وأحمدُهُ إذْ رَزقني الصَّبْرَ عَليها ، وأحمدُه إذ وَفَّقَني لاسْتِرجَاعِ ما أرجُو فيه مِن الثواب ، وأحمدُهُ إذ لم يَجْعَلْهَا في دِيْني .

وقال حاتَمُ الأصَم : مُصِيْبَةُ الدينِ أعْظَمُ مِن مُصِيْبَةِ الدنيا ، ولقد مَاتَتْ لِي بنتٌ فَعَزَّانِي أكثرُ مِن عَشرةِ آلافٍ وفَاتَتْنِي صلاةُ الجَمَاعَةِ فلم يُعَزِنِي أحَدٌ .

وقال آخر : كُنْ حَذِراً مِن أرْبَعِ غَارَاتٍ ، الأوْلَى : غَارَةُ مَلَكِ الموت على رُوْحِكَ ، الثانية : غَارَةُ الوَرَثةِ على مَالِكَ ، الثالثة : غَارَةُ الدُوْدِ على جِسْمِكَ في قَبرِكَ ، والرابعة : غَارَةُ الخُصَماء على حَسَنَاتِكَ ، فَعَلَيْكَ في الاسْتِعْدَادِ والاحْتِيَاطِ والاكثارِ مِن البَاقِياتِ الصالحات والمداومة على ذكر الله ليلاً ونهاراً وسِراً وجهاراً .

كان محمد بن سيرين يدخل السوق نِصفَ النهار يُكَبر ويُسَبِحُ ويَذْكُرُ الله ، فقال له رَجُل : يا أبا بكر في هَذِهِ الساعةِ ، قال : إنها ساعةٌ غَفْلَة ينبغي الذِكر والتذكير فيها .

وقال بَعضُ العلماء : إني لأقرأ القرآن فأنظر في آية فيحار عقلي فيها وأعْجبُ مِن حُفَاظِ القرآن كيفَ يَهنِيهم النومُ وهم يتلون كلامَ الرحمن ، أمَا لَوْ فَهِمُوا ما يَتلُونَ وعرفوا حَقه وتلذذوا به واسْتَحْلَوا المُنَاجَاةَ بِهِ لَذَهَبَ عنهم النومُ فَرحَاً وسُرُّوْا بما رَزَقهم الله ووفقهم له .

شعـــــراً :

فَشَمِّرْ وَلُذْ بالله واحْفَظْ كِتَابَـــه ... ففيهِ الهُـــدَى حَقاً ولِلْخَيْر جَامِـــعُ
هو الذُخْرُ لِلْملْهُوف والكَنْزُ والرَّجَا ... ومنـه بـلا شَـكٍ تُنَـالَ المنافِـعُ
بِهِ يَهْتَدِي مَن تاهَ في مَهْمَهِ الهَـــوَى ... بـه يَتَسَلَّى مَـن دَهَتْـهُ الفَجَـائِـعُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فصـــــــل)

قال بعضُ العلماء على قول الله تعالى ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ﴾ إن الأرضَ لَتَبْكِي على رَجُلٍ وتبكي مِن رجل ، تبكي على مَن يَعْمَل على ظهرها بطاعة الله ، وتبكي مِمَّن يَعْمـــــلُ على ظهرها بمعصية الله فقد أثقلها .

وقالَ مَن أحب أن يكون أقْوى الناس فَلْيَتَوكَّلْ على الله ، ومَن أحبَ أن يكونَ أكرمَ الناسِ فليتقِ الله ، ومَن أحب أن يكونَ أغْنَى الناسِ فليكُنْ بما في يَدِ الله أوثقَ عنده مما في يدِهِ .

وقال إبراهيمُ بنُ بَشَّار : ما رأيتُ في جميع مَن لَقِيْتُه مِن العُبَّادْ والعُلماء والصالحين والزُّهادِ أحداً يُبْغِضُ الدنيا ولا ينظر إليها مِثْلَ إبراهيم بن أدهم ، وربما مَرَرْنَا على قومٍ قَدْ أقامُوا حَائِطاً أو دَاراً أو حَانُوتاً فيُحَوِّلُ وَجْهَهُ ولا يَمْلأُ عينيْه مِن النظر إليه فعَاتَبْتُه على ذلكَ ، فَقَالَ يا بَشَّـــــار اقرأ ما قال الله تعـــــالى ﴿ لِيَبْلُوكم أيكم أحسنُ عملاً ﴾ ولم يَقُل أيكم أحْسَنُ عِمارَةً لِلدنيا وأكْثَرَ حُبّاً وَذُخراً وجمالاً، ثم بَكَى وقال صَدَقَ الله عَزّ اسمه فيما يَقُول ﴿ ومَا خلقت الجن والإنس إلا لِيَعْبُدون ﴾ ولم يَقُل إلا لِيَعْمروا الدنيا ويَجْمَعُوا الأموالَ ويَبْنُوا الدورَ ويُشَيِّدُوا القُصُورَ ويتَلَذَّذُوا ويَتَفَكَّهُوا ، وجَعَلَ يومَه كُلَّه يُرَدِّدُ ذلكَ ويَقول « فَبِهُدَاهُم اقْتَدِهْ » .

(فـــــائدة عظيمـــــة)

كل عِلْم لا يُوَافق الكِتابَ والسنةَ أو ما هو مُستفادٌ منهما أو مُعِيْنٌ على فهمِها أو مُسْتَنِدٌ إليهما كائنا ما كان فهو نَقْصٌ وضَرَرٌ ورذِيْلَة وليسَ بفضيلة بل يَزْدَادُ بِه الإنسانُ هَوَاناً ورَذيْلةً في الدنيا والآخرة .

وسئل بعض العلماء عن ما يُذْهِبُ العُلُومَ مِن قُلُوب العُلماءِ بَعْدَ أَنْ وعَوها وَعقلُوها ، فقال : الطَّمعُ وشَرَهُ النفسِ وطَلَبُ الحَوائِج ، وفسر أحدُ العُلماء ما تقدم فقال : يَطْمعُ الرجلُ في الشيء فيطلُبُه فَرُبَّما كان سَبَباً لِذَهاب دِيْنِهِ ، وأمَّا الشرة فَشَرِهُ النَّفس في هَذا وفي هَذا حتى لا تُحِبُّ أن يَفُوتها شيء ، ويكون لكَ إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجَة ، فإذا قَضَاهَا لكَ خَرَمَ أَنْفَكَ وقادَكَ حَيْثُ شاءَ واسْتمكنَ مِنكَ وخَضَعْتَ لَهُ وسَلَّمتَ عليه وزُرتَه وعُدْتَه إذا مَرِضَ، ولولا حَاجتُكَ لتركتَه .

شعـــــراً :

إذا سُدَّ بابٌ عنكَ مِن دُونِ حَاجَةٍ ... فَدَعْهُ لِأُخْرَى يَنْفَتِحْ لَكَ بابهـــا

فإنَّ قِرَابَ البَطْنِ يَكْفِيكَ مِلْؤُهُ ... ويكْفِيْكَ سَوْآتِ الأُمـــورِ إجْتِنَابُها

ولا تَكُ مِبْذَالاً لِعِرْضِـــكَ واجْتَنِبْ ... رُكُوبَ المَعَاصِي يَجْتَنِبْكَ عِقَابُهَا

كان عُمَرُ بُن الخطاب رضي الله عنه يقول : رَحِم الله إمْـرءاً أَهْـدَى إليَّ عُيُوبِي وكان يَسْأَل سَلمانَ عن عُيوبه ، فلما قَدمَ عليه قال : ما الذي بَلَغَكَ عَنِّي مما تَكْرَهُه .

قال : أَعْفِني يا أميْرَ المؤمنين فألَحَّ عليه ، فقال : بَلَغَني أنكَ جَمَعْتَ بَيْنَ إدَامَيْن على مَائِدةٍ وأنَّ لَكَ حُلَّتَيْن حُلَّةً بالنَّهار وحُلةً بالليل .

قال : وهَلْ بَلَغَكَ غَيْرُ هذا ، قال : لا . قال : أَمَّا هَذَانِ فقد كُفَيْتَهُمَا ، وكان يَسْأَلُ حُذَيْفَةَ ويقُولُ له أنتَ صَاحِبُ رسول الله ﷺ في معرفة المنافقين فهل تَرى عَلَيَّ شَيْئاً مِن آثارِ النفاق .

فهو على جَلَالَةِ قَدْرِهِ وعُلُو مَنْصِبِهِ هكذا كانَتْ تُهْمَتُه لنفْسِهِ رضى الله عنه .

فَكلُ مَن كان أَرْجَحَ عَقْلاً وأقْوَى في الدين وأعلى منصباً ، كان أكثر